بأن أتعاهده بالكتابة من الآستانة ، فكانت الكتابة بيننا متصلة في ذلك ، ولم أر أحداً من أصدقائي بمصر اهتم بذلك بعض اهتمامه رحمه الله تعالى

كان سبب موته مرض ألمّ بدماغه ، سببه كثرة تفكيره واشتغاله ، ولا غرو فقد كانت قوة ذلك الدماغ أعظم من مادته ، وعمله فوق استطاعته ، وذلك منتهى أكثر الرجال الذين همتهم اكبر من قوتهم ، تنسى عقولهم حقوق ابدانهم : فيجنون على امتهم بجنايتهم على انفسهم ، اذ ينتزعهم القدر منها ، أقدر ما كانوا على خدمتها ، فمنهم من يقضي في سن الشباب ، ومنهم من يلقى مصرعه عند الاكتهال ، وبلوغ قواه كلها مستوى الكمال ، كمن فقدنا اليوم ، ومن فقدنا بالامس ، رحمهم الله تعالى .

محاربة متعصبي القبط وغيرهم للمنار

في يوم السبت في ٢١ جمادى الاخرة دعانا بالمسرة (التلفون) رئيس النظار حسين رشدي باشا الى داره فوافيناه فيها فاذا هو في سرير النوم لانحراف صحته ، واذا بجانبه جريدة مصر القبطية ، فأطلعنا عليها ، وسألنا عما تنسبه الى المنار من الطعن المعلم عليه بالحبر الأحمر فيها ، وملخصه أنه يجعل النصارى كلهم وثنيين وان طعنه يكاد يضرم نار الثورة في البلاد ؟؟ فلما قرأت ما فيها قلت للرئيس : ياعطوفة الرئيس ! انت قاض قبل كل شيء ، وقد اشتهرت في حياتك القضائية بالاستقلال ، ومن مقتضى ذلك ان تقرأ الطعن الذي تشير اليه جريدة مصر ، قبل ان تحكم في المسألة بشيء . هذه العبارة التي تشير اليها جريدة مصر اوردها المنار كعنوان لموضوع كتاب في سياق تقريظه له . هذا الكتاب اسمه « نشوء فكرة الله » مؤلفه انكليزي ، وخلصه بالعربية سلامه افندي موسى القبطي ، وطبعه بمطبعة يوسف افندي الخازن الماروني السوري ، محرر جريدة الوطن القبطية ، وقرظته الجرائد والمجلات السورية والقبطية والاسلامية ، ولم يعب المترجم والناشر احد منها بانه عاب النصرانية وكاد يضرم نار الثورة في البلاد ! ولكن لما قرظته مجلة المنار الاسلامية وذكرت ان ملخصه اثبات كون الديانة النصرانية وثنية الاصل — وقيدتها بالحاضرة تبرئة للمسيحية الصحيحة التي كان عليها المسيح عليه السلام وحواريه رضي الله عنهم — صار ذلك اكبر الجرائم المحركة للثورات والفتن ، واستحق صاحب المنار النفي من مصر ، واستحقت الحكومة هذا الانذار من جريدة مصر — اذ فيها : ان من انذر فقد اعذر — بعد الاقتراح على الحكومة ان بان تعاقب صاحب المنار بمثل ما عاقبت به عبد العزيز شاويش عدو القبط من سجن ونفي .

ثم اعطيت للرئيس نسخة المنار فلما قرأ التقريظ فيها ضحك مستغربا كتابة

جريدة مصر . ثم ذكرت له ان المنار لما كان هو المجلة الاسلامية الوحيدة التي اخذت على نفسها الدفاع عن الاسلام في هذه البلاد الحرة التي ينشر المبشرون فيها الصحف والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والقرآن والنبي (ص) وجب علينا شرعا ان نرد عليها اعتداءها ولو بما هو دونه ، اذ لا يسمح لنا ديننا أن نطعن في سيدنا عيسى ولا في أصل دينه وكتابه . فأنا لا أترك مدافعة المبشرين الا اذا كانت الحكومة تريد منع حرية المسلمين في دينهم وتجعل الحرية للنصارى وحدهم . فقال الرئيس كلا ان الحكومة لا تسلبك حرية الدفاع عن الاسلام ولكن توصيك بالاعتدال والتزام خطة الدفاع ، قلت انني أعني بالدفاع انهم البادئون وانا نجزيهم بما دون عملهم ، وانهم اذا تركوا الكلام في ديننا تركنا الكلام في دينهم ، وانني مستعد لتقديم جدول للحكومة بالشواهد من كتب المبشرين ورسائلهم على ما فيها من الطعن الفاحش في الاسلام الخ ...

كان ما أطلعني عليه الرئيس اول ما اطلعت عليه من المطاعن الكثيرة التي وجهتها الي وإلى المنار جريدة مصر ، وكنت اسمع بها ، ولا احاول الاطلاع على شيء منها . ثم جاءني أحد الاصدقاء بعددين منها فاذا في احدهما ما نصه تحت عنوان (صاحب المنار)

« اتصل بنا ان ولاة الامر قد اهتموا بما كتبناه عن الشيخ صاحب المنار وطعنه الطعن الجارح في الدين المسيحي واهله فاستدعاه عطوفة رئيس النظار الى منزله وحذره من الكتابة في مثل هذه المواضيع المهيجة وانذره بتعطيل مجلته ان عاد الى تلك الكتابات . فعسى ان يكون هذا الانذار مانعاً من الوقوع في المصائب التي يريد صاحب المنار جلبها على البلاد واهلها . » !!

دع كذب جريدة مصر على رئيس الحكومة في هذا العدد وانتظر ما كتبت في الآخر : كنت كتبت مقالة في الرد على جريدة (دوكير) التي تصدر بمصر باللغة الفرنسية اذ نشرت مقالة تنكر فيها على المنار ما كتبه في النصرانية يظهر انها لاحد السوريين ، بينت فيها طريقة المنار في الجمع بين الاسلام والمدنية الصحيحة والتأليف بين المسلمين وغيرهم ، والصحف الفرنسية التي شهدت له بذلك ، وكون رده على دعاة النصرانية لا ينافي ذلك . وارسلت المقالة الى المؤيد فلم ينشرها الا بعد زهاء شهر من ارسالها اليه . وقد هاج نشرها جريدة مصر فكتبت مقالة في اليوم التالي لنشر المقالة في المؤيد (وهو ٢٧ جمادى الآخرة) استفرغت فيها ما في قلب صاحبها ومحررها من السباب والشتائم والحقد والضغينة على صاحب المنار ، فظهر من فحوى ذلك سر من الاسرار ، وهو سبب حملة جريدة مصر علينا في هذا الشهر ، مع ان المنار يرد على المبشرين من بضع عشرة سنة . وهاك ما فضح السر منها :

« ولكن هذا الرجل المسكين لم يعد يعطف أحد عليه . فالوطنيون يكرهونه

لانه يعاكس مبادئهم . والانكليز يبغضونه لانه عدو مدنيتهم . وعلماء المسلمين يكرهونه لانه غير واقف على اسرار الدين . وقد ادركت الحكومة سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب .

«اننا اذا اغتفرنا لهذا الرجل كل سيئاته وتغاضينا عن مدرسته التي لا ندري الغرض منها . فانه لا يرضينا منه تداخله في ما لا يعنيه وشرحه للدين المسيحي شرحا يخالف ما يعتقد به اهله . وطعنه ذاك الطعن الاليم في المدنية الاوربية، ووضعه لفناصل والمبشرين والمومسات والقوادين في مستو واحد .

لذلك كله نرى من واجباتنا الوطنية ان نلاحق هذا الرجل ونعمل جهد استطاعتنا لمحاربته كما تحارب الحكومات الامراض المعدية ولو تسلح برضا بعض ولاة الأمر عنه وشد جريدة مثل المؤيد لأزره بقولها عنه : « ان صاحب المنار مهضوم الجانب وفي حاجة الى الدفاع عن نفسه ودينه » اه بحروفه

(المنار) ظهر لنا من هذا التصريح الذي لا يحتمل التأويل ان سبب انفجار بركان التعصب على صاحب المنار في جريدة مصر هو تشريف مولانا الامير عزيز مصر مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وما تضمنته هذه الزيارة من اعلان ثقته بالمدرسة وعطفه السامي على ناظرها صاحب المنار ، ولذلك عرضت جريدة مصر بذكر المدرسة وقالت انها تغاضت عنها ، على كونها لا تدري الغرض منها ! ! كأنه يجب على كل مسلم يعمل للاسلام عملا ان يوقف جريدة مصر على غرضه من عمله ! ؟

تقول جريدة مصر في صاحب المنار ان المصريين والانكليز يبغضونه وإن الحكومة قد ادركت سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب : أثبتت جريدة مصر كل هذا ، فكان ينتظر من مديرها ومحرريها انصار الديانة المسيحية بزعمهم ان يجد صاحب المنار من قلوبهم عطفة او نفحة من الرحمة المسيحية المبني اساسها على محبة الاعداء ومباركة اللاعنين ! ! ولكنهم لم يزدادوا الا قسوة وحقدا عليه ، فبعد الجزم بجميع ما ذكر قالوا ان الواجب عليهم أن يعملوا جهد استطاعتهم لمحاربته ولو تسلح برضا بعض اولياء الامور عنه ؟ فاذا كان الانكليز ورجال الحكومة غاضبين عليه . فمن تعني ببعض أولياء الامور المتسلح برضاهم عنه ؟؟

ثم ماذا تريد جريدة مصر بالمحاربة الجديدة التي توعدتنا بها، بعد ما كان من تهييجها المبشرين وغيرهم من رجال النصرانية علينا، وبعد هذه السباب والشتائم وبعد انذار الحكومة بخطر الثورة اذا لم تنكل بصاحب المنار ؟ وهل بعد هذا من حرب تقدر عليه جريدة ؟ نعم بلغني ممن يعاشر بعض محرري جريدة مصر أنهم يعنون بهذه المحاربة الاستعانة بنفوذ المبشرين في انكلترة على اقناع حكومة لندرة نفسها بوجوب إلغاء المنار والتنكيل بصاحبه وإقفال مدرسة دار الدعوة والارشاد . — الى هذا الحد وصلت ثقة متعصبي القبط بكيدهم للمسلمين ، فاعتبروا يا أولي الابصار